الوجهة الثالثة

تحتوى على ثلاث صور فى تعريف أسماء المدينة الطاهرة وفضائلها التى ترجحها على البلاد الأخرى وخصائصها الفائقة وبعض أحكامها التى توحى بحكم جليلة.

فى بيان أسماء المدينة المنورة الجميلة وألقابها الجليلة (على صاحبها أفضل التحية).

ذكر العلماء الكرام للبلدة الطيبة دار هجرة النبى ﷺ ما يقرب من سبعة وتسعين اسما ساميا مستخرجين ذلك من الكتب المقدسة والأحاديث الشريفة، ومن الواضح أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومن البديهى أن لتلك المدينة المفخمة أسماء كثيرة إلا أن مجد الدين اللغوى قد ذكر الأسماء التى اتفق عليها العلماء وميزها بحرف [ز] وهذه الأسماء لم تتجاوز سبعة، ولكننا كتبنا جميع الأسماء التى صادفتنا متبركين بها والأسماء التى ميزت بحرف [ز] أشرنا إليها بنفس الحرف كذلك وقد رتبناها حسب ترتيب حروف الهجاء وكتبناها:

حرف الهمزة:

١ـ أثرب: هذه الكلمة على وزن أسعد بفتح الهمزة، وفى فترة ما أبدلوها بياء وقالوا يثرب، وأثرب اسم شخص من أبناء سام بن نوح ـ عليه السلام ـ الذى سكن أول واحد فى أرض المدينة.

يثرب: لما كان لفظ يثرب يتضمن معنى الفساد فاستهجنه الواقف على الحكم الخفية (عليه أجمل التحية) فبدله طابه وطيبة وعند البعض أن النبى ﷺ ذكر هذه المدينة باسم (يثرب).

توجيه وجيه: إذا ما قيل أبقيت المدينة أولا باسمها القديم ثم استهجن ذلك الاسم فألغى نكون قد وفقنا بين الأقوال.

وعند أبى عبيدة أن يثرب، يطلق على جميع جوانب المدينة وهو المحل الذى يقع بين الناحية التى يطلق عليها «جرب وقناة»، و«يثرب» فى زماننا اسم موضع

يقع جهة مشهد حمزة (رضى الله عنه) وفى الطرف الشرقى لبركة نصر وبجانب العين الأزق، إن هذا المكان هو بستان النخيل الذى يعرف باسم «أثاب» وكان ساحة قرية بنى الحارثة، وقد نزلت الآية الكريمة الآتية:

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾. (الأحزاب: ١٣).

فى هذا الموضع فى يوم الأحزاب وكان مشركو قريش قد احتشدوا هناك لضرب خيامهم ونصبها وعلى هذا التقدير يقتضى أن يطلق اسم يثرب على هذا المكان أى محل بستان النخيل السالف الذكر، إلا أن نبى الله ﷺ أطلق اسم يثرب على مكان فى موقع «زباله» والذى يعرف إلى الآن بموقع يثرب والآية المذكورة قد نزلت فى حق منافقى المدينة.

٣,٢ ـ أرض الله، أرض الهجرة: [ز] وهذا الاسم اللطيف الذى ثبت بالآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. (النساء: ٩٧).

لأن بعض المفسرين فسر «الأرض الواسعة» بالساحة الواسعة للمدينة المنورة.

٥,٤ ـ أكالة البلدان [ز]، أكالة القرى [ز]: إن هذين الاسمين يدلان على أن المدينة الطاهرة تفوق المدن الأخرى فى الفضل والمزية. وهما مستنبطان من الحديث الشريف «أمرت بقرية تأكل القرى»[1].

٦ـ الإيمان [ز] وهذا الاسم كناية عن أن تلك المدينة ستكون مظهر الإيمان ومصيره، وقد عين بالآية الجليلة:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي

(١) صحيح رواه مسلم حديث ١٠٠٦، باب المدينة تنفى شرارها.

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: ٩).

وما قاله عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر «بما أن هذه المدينة مظهر الإيمان فتسمية الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها بـ «دار إيمان» محمول على هذه النكتة.

حرف الباء:

٨,٧ ـ البارة [ز] وهذا يومئ بأن مدينة الرسول منبع فيض وبركات وأنها مصدر خير لجميع الكائنات.

٩,١٠,١١ ـ ومن أسمائها الشريفة بحْره، بُحَيرَة، بَحِيرَة [ز] وهذه الأسماء الثلاثة تدل على فضل وبركة تلك المدينة.

١٢ ـ بلاط [ز]: بمعنى الرصيف وكان اسم الرصيف القائم بين المسجد الشريف والسوق وفيما بعد أصبح من أسماء المدينة.

١٣ ـ بلد [ز]: هذا الاسم مأخوذ من قول الله تعالى:

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾. (البلد).

وقالت طائفة من المفسرين الكرام أن «بلد اسم مكة المكرمة» إلا أن طائفة أخرى قالت إنه اسم المدينة المنورة.

١٤ ـ بيت الرسول، ﷺ [ز]: وهذا الاسم ثابت بقول الله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾. (الأنفال: ٥)

لأن المقصود بالبيت المذكور فى الآية المدينة المنورة.

حرف التاء:

١٥، ١٦ ـ تَنْدَرْ [ز] تَيْدَرْ [ز]: وإن كان كلا الاسمين على وزن جعفر من أسماء

المدينة الجليلة إلا أن بناء على قراءة ابن عباس وابن جماعة يلزم أن يكون نيدر على أنه نداء وسيأتى ذكره فى حرف الراء.

حرف الجيم:

١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ ـ جابرة [ز] جِبَار، جبَابَرة [ز] جَبَّارة: وينقلون أن هذه الأسماء مستخرجة من التوراة الشريفة.

٢١ ـ جزيرة العرب [ز]: وهذا الاسم ثابت بالحديث الشريف الذى يقول «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

حرف الحاء:

٢٣ ـ الحبيبة: وسبب تسميتها بهذا الاسم مدى حب حبيب الله لهذه المدينة.

٢٤ ـ حَرَم: وهذا الاسم ثابت بالحديث الشريف «المدينة حرم آمن» قال النبى ﷺ «إن حرم ابن آزر مكة المكرمة وحرمى المدينة وكل من يخيف ويحذر أهل المدينة سبحانه وتعالى يخيفه».

٢٥، ٢٦ ـ حرم رسول الله [ز]، حسنة: وهذا الاسم مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (النحل: ٤٢).

حرف الخاء:

٢٧، ٢٨ ـ خَيْرَه، خِيرَه: وهذان الاسمان اللطيفان ثابتان بالحديث «المدينة خير لهم».

حرف الدال:

٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧ ـ الدار [ز] دار الأبرار، دار الأخيار [ز] دار الإيمان [ز] دار السلام [ز] دار السنة [ز] دار السلامة [ز] دار الفتح [ز] دار الهجرة: ولما كانت هذه الأسماء من الأسماء المعروفة فوجه تسميتها

بها ظاهر. لأن جميع البلاد والأمصار قد فتحت وسخرت بسوق الجنود الأبرار من مدينة دار الهجرة، كما أن شمس السنة السنية أشرقت من آفاق المدينة وأضاءت أقطار العالم والممالك، لأن النبى ﷺ هاجر إلى المدينة بعد أن ظهرت الدعوة فى مكة المكرمة.

٣٨ ـ درع، الحصينة [ز]: ودرجة التسمية بهذا الاسم يعود على قول سلطان الدين ـ عليه صلوات الله المعين ـ «قد رأيت نفسى فى رؤيا داخل درع محكم الصنع وأولت هذا الدرع بأنه المدينة».

حرف الذال:

٣٩ ـ ذات الحجر [ز]: وسبب تسميتها بهذا الاسم وجود المدينة داخل جبال حجرية.

٤٠ ـ ذات الحرار [ز]: وسبب تسميتها بهذا الاسم أن المدينة محاطة بالتلال. إن كاهنا من كهنة اليمن الذى يطلق عليه ضافير الحميرى قال «كنت سألت عن أحد أفراد الجن فى أى بلاد أتحرى عن الدين الحق فقال هذا الجن: ابحث عن هذا الدين الحق فى الحرار»، وبهذا الاسم أومأ الجن إلى المدينة المنورة.

٤١ ـ ذات النخل [ز]: وقد ثبت هذا الاسم بالحديث الشريف «أريت دار هجرتى ذات نخل».

حرف السين:

٤٢ ـ سلق: إن هذا الاسم مسطور فى التوراة ويقرأ على ثلاثة وجوه سَلَق، سَلْق (٤٣) وسِلْق (٤٤) وكون هذا البلد فى موقع واسع وجبال بعيدة بعضها عن بعض ومتجاورة. وكونه ذا حرارة شديدَة فهذا هو وجه تسميتها بهذا الاسم. ويروى أن لفظ (سَلْقَه) يجمع بين معنى الوسع والحرارة.

٤٥ ـ سيدة البلاد [ز]: وقد نقل ابن عمر (رضى الله عنه) مرفوعا عن ـ النبى ﷺ ـ أنه قال «يا طيبة يا سيدة البلدان» وكان هذا الحديث الشريف سببا فى تسمية المدينة المنورة بهذا الاسم.

٤٦ ـ شافية [ز]: وهذا الاسم مأخوذ من الحديث الشريف «ترابها دواء من كل داء».

حرف الطاء:

٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ ـ طابَهْ، طَيبهَ، طَيَبة، طائب [ز]: يروى أن هذه الأسماء منقولة من كتاب التوراة المقدسة ووجه تسميتها بهذا الاسم بناء على قول وهب بن منبه كونها ذات رائحة طيبة ولطهارتها من دنس الشرك والنفاق وانتسابها الطيب بهجرة الرسول الموقر، كما أن مطَيَبه (٥١) وطبابا (٥٢) من أسماء المدينة الجليلة.

حرف الظاء:

٥٣، ٥٤ ـ ظيابا [ز] ظبابا: وقد سميت بهذين الاسمين لكونها قطعة مستطيلة مسعودَة فى أراضى الحجاز المقدسة.

حرف العين:

٥٥ ـ عاصمة: سبب تسميتها بهذا الاسم لأنها حمت المهاجرين الكرام عن تسلط الأعداء كالدرع أو لأنها معصومة من الطاعون والدجال.

٥٦ ـ عذراء: لأنها مصونة من شر الأشرار لرصانتها الجغرافية ومتانتها الطبيعية أو أنها تحمل معنى البكارة لأنها استسلمت للنبى ﷺ دون حرب وقتال. والاسم مأخوذ من التوراة.

٥٧ ـ عَرَاء [ز]: عدم ارتفاع مبانيها القديمة سبب تسميتها بهذا الاسم.

٥٨ ـ عروض: لكونها على أرض مستوية ولوجود أودية السيول ومجاريها فيها.

حرف الغين:

٥٩، ٦٠ ـ غراء [ز]: غالبه [ز]: وسبب تسميتها بهذين الاسمين تغلب قبيلتى الأوس والخزرج عندما نزلتا فى المدينة على طوائف اليهود. وتفوقها فى العهد الإسلامى على القرى الأخرى.

حرف الفاء:

٦١ ـ فاضحة [ز] سميت كذلك لتملكها خاصية فضح أهل البدعة.

حرف القاف:

٦٢ ـ قاصمة [ز]: وهذا الاسم منقول من التوراة سميت بهذا الاسم لهلاك الذين يسيئون إلى أهلها.

٦٣، ٦٤. ٦٥، ٦٦، ٦٧ ـ قرية [ز] قرية الأنصار [ز] قبة الإسلام، قرية الرسول، قلب الإيمان [ز] وجه تسميتها بهذه الأسماء ظاهر، إلا أن الدجال هو الذى سيطلقه عليها «قرية الرسول» لأنه عندما يصل إليها سيعرف أعوانه بأنها دار هجرة الرسول قائلا «هذه قرية ذلك الرجل».

حرف الميم:

٦٨ ـ مؤمنة [ز]: وقد أخذ هذا الاسم من التوراة ويومئ بأن سكنتها سينجون من شرور الأعداء الأشرار والأمراض والكوارث والطاعون والأوبئة ودخول الدجال.

٦٩ ـ ١٠٣ مباركة [ز] متبوئ الحلال والحرام [ز] مبين الحلال والحرام [ز] مجبورة، محبة، محبَّبَة، محبوبة، محبورة، [ز] محرمة [ز] محروسة [ز] محفوفة [ز] محفوظة [ز] ممتازة [ز] مدخل صدق [ز] مدينة، مدينة الرسول، مرحومة، مرزوقة [ز] مسجد الأقصى [ز] مسكينة، مسلمة [ز] مضجع الرسول [ز] مطيبة، مرجية [ز] مقدسة [ز] مقر [ز] مكتان [ز] مكينة [ز] مهاجر الرسول [ز] موفية: ولا حاجة لتعريف وجه تسمية هذه الأسماء.

حرف النون:

١٠٤، ١٠٥، ١٠٦ ـ ناجية [ز] نبلاء [ز] نجر [ز] وسبب تسميتها ظاهر.

حرف الهاء:

١٠٧، ١٠٨ ـ هرزاء [ز] هز: بعض هذه الأسماء مأخوذة من التوراة الشريفة وبعضها من الكتب المقدسة الأخرى.

حرف الياء:

١٠٩، ١١٠، ١١١ ـ يثرب، يندد [ز]: إن هذه الأسماء الشريفة أخذت أكثرها من التوراة ومن الكتب الأخرى كما ذكر أعلاه وبناء على قول الدراوردى إن فى التوراة أربعون اسما آخر لدار الهجرة الطيبة ـ نورها الله تعالى إلى يوم القيامة ـ وبما أن أكثرها يتغير ويتميز بتخالف الحركات، لذا صرف علماء الأسلاف النظر عن ذكرها وعددها.

فى ذكر الروايات التى نقلت من الآثار الموثوقة والأخبار الصحيحة فى فضل ورجحان المدينة المنورة على سائر الممالك.

لا يخفى على أهل الرأى المخلصين أن التراب الطاهر الذى التصق بجسم نافع الكونين المحمدى فى المدينة المنورة أفضل من جميع بقاع الأرض وحتى من البيت الأعظم والعرش المعظم، ولأجل ذلك يفضل العلماء الأجلاء المضجع الجليل المقدس على السماء التى تفوق الأرض فى الأفضلية والرجحان.

وإن كان لا يشك فى أفضلية مكة المكرمة والمدينة المنورة على البلاد الأخرى ورجحانهما، إلا أن المسألة الأصلية فى رجحان أحدهما على الأخرى وترجيحها.

بعد أن اختلف علماء الأسلاف فى هذه المسألة كثيرا رأى عمر بن الخطاب وكثير من الذوات المحترمين من الأصحاب الكرام وعلماء البلدة المقدسة الطيبة تفضيل المدينة المنورة على مدينة مكة المعظمة وقال الإمام أحمد إن هذا الاختلاف فى الأماكن الأخرى من مكة المكرمة، لأن البقعة المحترمة (كعبة الله) أفضل من مرقد رسول الله.

وبهذا الحكم فضُلت مكة المكرمة على المدينة المنورة، قد رأى الإمام مالك صواب القول الأول وقال إن المدينة أفضل من مكة المكرمة لأن التراب الذى يلتصق بجسم صاحب الرسالة محمد ﷺ أشرف وأجل من رجحان جميع بقاع الأرض المنيرة، والفقرة الثانية من ادعائه أى أن التراب العاطر الذى يلتصق بجسم المصطفى ﷺ مفضل على جميع البقاع الأرضية قد صدقت من قبل جميع الأئمة.

إن البلدة المقدسة البطحاء قد اكتسبت شرفا سابقا بالاستناد إلى حضرة إبراهيم

وابنه إسماعيل ـ عليهما صلوات الله ـ إلا أن مجاورة حافظة الجواهر والبر والفضل ـ عليه التحية ـ بالغدو والآصال عندما أسندت إليه الرسالة أضافت علوا وشرفا لهذه البلدة وإن كان هذا لا يقبل الإنكار إلا أن شرف مجاورة النبى ﷺ قد زال بعد الهجرة، واكتسبت المدينة المنورة بالهجرة مزية حقيقية فوق العادة. وإذا قيل، لماذا لم تنل الأشياء الأخرى التى جاورت النبى ﷺ هذا الشرف ولعل الأفضلية ليست وقفا على الملاصقة بل إن هذه الأرض التى دفن فيها الرسول ﷺ أصبحت جزءا من جسم الرسول ولأجل ذلك كسبت المدينة المنورة أفضلية ورجحانا على الأماكن الأخرى لأن الملك الموكل بعجن طينة الإنسان قد قسمها إلى ثلاثة أقسام فيضع أحدها فى رحم الأم عند سقوط النطفة ويضع الثانى فى الأراضى الخصبة التى سيعيش عليها فى حياته، ويلقى بالقسم الثالث فى المكان الذى سيدفن فيه، ومادام التراب الذى التصق بأعضاء النبى المكرم قد كان جزءا انفصل من جسمه فمرقد صاحب الرسالة المؤيد بالفيض النبوى، يرجح قطعا من حيث الشرف على مكة المكرمة. وهذا هو سر رجحان تراب المدينة المنورة العاطر الذى التصق بالجسم النبوى الميمون، من المدينة التى دفنت فيها الرحمة، وحكمة هذه الأفضلية ترجع إلى أن أجر ومثوبات الأعمال الصالحة فى إحداهما أكثر من الأخرى.

وقال الرواة الذين أيدوا الإمام مالك فى رجحان المدينة المنورة على مكة المكرمة فى ضمن إثبات مدعاه ـ قال مؤلف كتاب الوفاء ـ نقلا عن كعب الأحبار ـ عندما أراد الله القادر المطلق أن يخلق ويوجد نور صاحب الرسالة الأقدس أمر جبريل الأمين أن يجهز ويهيئ العنصر المحمدى اللطيف ـ عليه أفضل التحية ـ وجد جبريل الأمين قبضة من التراب الأبيض وأحضره، ولما كان هذا التراب الطاهر موقع مرقد سيد البشر خمر وعجن جبريل ذلك التراب بماء الجنة الزلال وعرف أنه عنصر محبوب الله ـ عليه أجمل التحايا ـ وامتلأ عجبا إذ تأمل أهمية قدره وجلالة وعظمة وفضل جوهره، ولم يكن سكان عالم السماء حتى ذلك الوقت قد سمعوا حتى اسم أبى البشر ـ عليه سلام الله الأكبر.

وقال ابن جرير ونقل فى إثبات مدعاه أن كل شخص يدفن فى المكان الذى خلق منه وذلك من مقتضى الحكم الإلهى. ما قاله ابن سيرين إننى إذا أقسمت أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق النبى ﷺ وأبا بكر وعمر من نوع من تراب ثم ردهم إلى نفس التراب أكون قد أقسمت يمينا صادقا.

ونقل ما قاله ابن عباس آتيا بالحديث الشريف إن الطين العطر النبوى من تراب الكعبة المعظمة التى تمثل سرة الأرض. وقال العلماء الكرام إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما خاطب السماوات والأرض. ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (فصلت ١١).

فأول من لبى الخطاب الإلهى من الأرض أرض موقع الأنور الكعبة ومن السماء المكان الذى يحاذى البيت الأكرم ومع ذلك فإن التراب المطهر الذى استجاب من موقع الكعبة المعظمة كان التراب الذى اختلط بالعنصر النبوى وبالمادة اللطيفة المصطفوية، ثم انفصل عن أرض الغبراء المبسوطة من تراب الكعبة المكرمة ثم بسط وفرش وعلى هذه الرواية يقتضى الأمر أن يدفن ماء وطين ـ عليه سلام الله المعين ـ فى داخل الكعبة ودفنه فى تراب المدينة المنورة العاطرة أى دفن صاحب الرسالة فى مكان بعيد عن مكة المعظمة وإفراده يظهر عظمته وفضله وأنه متبوع وليس بتابع.

عندما تموجت مياه طوفان نوح وهاجت المياه فوق ذروة الكعبة فصلت الطينة الطاهرة النبوية ونقلت إلى المكان الذى يرقد فيه سيد الأنام الآن وهكذا ثبت أن المرقد المقدس للنبى ﷺ جزء من جسم النبى اللطيف، لأجل ذلك دفن فى هذا المكان فأصبح محل راحته مضجعه الأقدس الذى كان أصل طينته الطيبة.

ويثبت هذا المدعى ما يروى أن حضرة سليمان ـ على نبينا وعليه السلام ـ حينما مر من أرض يثرب محل مرقد السعادة قال إنه سيكون هنا مدفن ملك يثرب وبطحاء ـ عليه أفضل التحايا ـ وقد ترك ما يقرب من أربعمائة حبر من أحبار اليهود آراءًا قوية فى هذا الخصوص.

وإن كان يلزم أن يتساوى فضل ومزية الحرمين من حيث مبدأ الخلقة إلا أن

فصل أمواج الطوفان المادة النبوية اللطيفة من بطن الكعبة وحملها إلى مضجع السعادة القدسية، وبهذا الفضل والمزية رجحت المدينة المنورة من حيث جيرتها لمرقد السعادة الذى يحتوى على الجسم اللطيف النبوى يقتضى تفضيلها على مكة المعظمة.

عندما توفى صاحب المقام المحمود ـ عليه سلام الله الودود ـ اختلف العلماء فى المكان الذى يلزم دفنه فيه ـ عليه السلام ـ عندئذ قال سيدنا على «إن المكان الذى قبضت فيه نفس الرسول النفيسة أجمل وأفضل من جميع الأماكن التى على وجه الدنيا» وكان أبو بكر الصديق فى هذا المجلس وقال «سمعت من فم سيد الأخيار نفسه» أن الأنبياء يدفنون فى المكان الذى يقبضون فيه» وقد وافقت آراء الأصحاب الكرام رأى المشار إليهما ومن هنا قرروا دفنه فى منزله اللطيف، إن سبب تأكد العلماء الكرام وجرأتهم على تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة هو وقوفهم على هذا السر الجليل.

وإنه لاشك فى أن المحل الذى أحبه النبى ﷺ سيكون أحب عند الله عن سائر الأماكن. ألا يرجح المحل الذى أحبه الله سبحانه وتعالى واختاره النبى ﷺ على المكان الآخر؟ وفى هذه الحالة ألا يرجح مضجع السعادة المنيف على الكعبة المعظمة؟

قد دعا فخر الكونين ـ عليه أكمل التحايا ـ حينما كان يغادر مكة «يا إلهى مادمت أخرجتنى من مكان أحبه فأسكنى فى مكان تحبه!!» وإذا ما نظر إلى اتخاذ أرض يثرب بعد هذا الدعاء دار الهجرة النبوية بعد أن دعا قائلا «يا رب أسكنى فى بلاد تحبها» واختياره الإقامة لآخر عمره فى مدينة طيبة الشهيرة يظهر من هذا أن المدينة المنورة أحب إلى الله من البلاد الأخرى.

إنها تلك البلدة المقدسة قد هاجر إليها خلاصة الماء والتراب ـ عليه سلام الله خالق الأفلاك ـ وارتحل عن دنيانا فى هذه البلدة كما حرص أصحابه الكرام على الإقامة فيها، هل ينكر بعد كل هذا مزية رجحان هذه البلدة وأفضليتها على البلاد الأخرى؟

وقد رجح بعض العلماء مكة المكرمة على المدينة المنورة مستدلين بالأحاديث «إن مكة أحب بلاد الله إلى الله» و«إن مكة خير بلاد الله»، وإن كان الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعى رأيا هذا الرأى وصدقا العلماء المشار إليهم إلا أن هذين الحديثين قد صدرا قبل أفضلية مكة المكرمة ـ عند سائر الأئمة ـ طالما كان صاحب المعجزات مقيما فى مكة المكرمة، وقالوا إن رجحان المدينة دار السكينة بعد الهجرة وفضلها قد ثبتا بعد الهجرة.

وإن كان ثبت تضاعف الأجر والمثوبة فى مكة المكرمة إلا أن هذا الأمر لا يقتضى أفضليتها، فمثلا يلزم للذين يذهبون إلى عرفات أن يصلوا خمس أوقات فى منى، ومع هذا فإن مكة المكرمة أكثر ثوابًا وأجرا من الصلوات التى تؤدى فى منى وهذا الأمر محقق ومصدق لدى العلماء. ولأجل ذلك قال ابن عمر، إن تضاعف الثواب والأجر فى مكة ثابت ومع ذلك لا ترجح على المدينة دار السكينة وهكذا بين أن تضاعف الثواب لا يقتضى الأفضلية والرجحان وأن المفضول قد يرجح على الفاضل أحيانا.

وبناء على هذا الفهم الدقيق أجاب الإمام مالك على سؤال: أى الحرمين أولى بالمجاورة فى رأيك؟ فقال لهم بناء على رأيى إن المجاورة فى المدينة الطاهرة أولى من المجاورة فى مكة المقدسة وأوجب.

كيف لا تكون دار الهجرة المحترمة أفضل من مكة المكرمة وكيف لا تكون المجاورة فى تلك البلدة أحب وأجمل؟ وقد مر الجالس على سرير الأمراء المصطفى ـ عليه أكمل التحية ـ بكل شوارع تلك البلد. المباركة ذهابا وإيابا، بما أن جبريل الأمين نزل فى أكثر بقاعها باسطًا أجنحته وأوصل الوحى الجليل ومن هنا قال الواقف على خفايا الحكمة ـ عليه بدائع التحية ـ المدينة خير من مكة والمدينة أفضل من مكة، وقد أخبر بهذا الحديث الصحيح عن لزوم تفضيل المدينة المنورة على مكة المعظمة نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة.

الصورة الثالثة

فى ذكر الأحاديث الشريفة التى وردت فى حق الذين اختاروا الإقامة فى المدينة الطاهرة والذين أحدثوا البدعة والمبدعين والذين يعاونونهم.

وقد فتح سلطان الرسالة ـ عليه أسمى التحية ـ فاه الشريف مبينا عظمة وقدر وفضل المدينة المنورة وقال ما معناه أنه سيأتى زمان على الناس سينقل فيه كل شخص أولاده وعياله وقومه وقبيلته إلى أماكن رخيصة وذات سعة فى العيش وكما تدخل الثعابين فى جحرها خائفة من أعدائها هكذا سينسحب نور الإيمان فى ذلك الوقت من البلاد الأخرى وسيتوجه نحو مدينة دار السكينة، وأقسم بالله الذى نفسى بيده بأن الذين لا يقدرون عظمة وخيرية المدينة المنورة ولا يذعنون لذلك ويغادرون المدينة المنورة ويفارقونها إلى البلاد الأخرى فسيأتى مكانهم من هو خير منهم، وإن كل نفر يعرض عن المدينة ويهاجر إلى البلاد الأخرى إلا وبدله الله سبحانه وتعالى بشخص يرغب فى الإقامة فى المدينة ويصبر على بلائها وعنائها.

يعنى يرسل إليها من هم خير من القادرين، وكل من يتحمل ضيق وعناء وشدة دار السكينة فإنه ﷺ يشهد فى يوم القيامة ذى الأهوال الشديدة على طاعة أهل الصبر ويبالغ فى شفاعته لأمته.

ذهب حضرة سعيد مولى المهرى إلى أبى سعيد الخدرى عقب توالى الظلم والغدر أيام واقعة الحرة فشكى من ضيق الحال وكثرة العيال ونقل إليه رغبته فى الهجرة إلى بلاد أخرى بهدف معايشة عياله وأولاده فى رفاهية وسرور. فأجابه أبو سعيد الخدرى قائلا «أوه لحالك هذه إننى «لا أرى من المناسب أن تترك هذا البلد وتضحى به» فأورد له الحديث الشريف الذى يقول حق المدينة «لا يصبر على لأوائها أحد إلا كنت له شهيدًا أو شفيعا يوم القيامة»[1] وفى نفس ذلك الوقت

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده ٢/ ١٥٥، ٣/ ٢٩، ٦٩، وانظر مجمع الزوائد ٣/ ٣٠٠.

المشحون بالفيض الإلهى لقى شخص آخر عبد الله ابن عمر وقال «يا أبا عبد الرحمن. قد حل زمن زاد فيه الجور والظلم وزادت حالة العباد ضيقا واشتدادًا وبناء على هذا فأنا أريد أن أهاجر إلى بلد ذى شهرة بالرخص». فذكر له عبد الله بن عمر الحديث الطويل سالف الذكر وقال له لا تفارق مكانك الذى أنت فيه ولو خطوة واحدة.

إن تفضل الآمر بالحكمة ـ عليه أفضل التحية ـ قائلا «أكون إما شفيعا أو شهيدا على من يتحملون بلايا المدينة المنورة بالصبر عليها» لا يشك فيه لأن معناه أكون شاهدا للمطيعين وشفيعا للعصاة ولما كانت هذه الشفاعة أخص من الشفاعة العامة فإن ذلك الحديث يدل على أن سكنة تلك المدينة المذكورة يتوفون على إيمانهم و معلوم أن الشفاعة ستكون فى حق أهل الإيمان.

إن تبشير متوفى المدينة جعل سكان دار السكينة رهن السرور ومما لاشك فيه أن الحديث الشريف (من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة)[1] سيسر الذين يؤثرون الفداء بأرواحهم فى المدينة المنورة، ويروى ابن عمر أن النبى ﷺ كان يدعو فى أثناء وجوده فى مكة قائلا «نرجو من المعطى ألا يتوفانا فى مكة المكرمة» وذلك عن صحبته له ـ عليه السلام ـ ويروى من مصدر موثوق أن صاحب الآيات ـ عليه أفضل التحيات ـ يقول «إن الذين لهم ملك فى المدينة يجب أن يحرصوا على المحافظة على أملاكهم وأن يسعى الذين لا يملكون شيئا فى المدينة لبذل الجهود على أن يمتلكوا شيئا فيها»، كما أنه ـ عليه السلام ـ نبه المهاجرين إلى البلدة الطيبة أن يهيئوا لأنفسهم ولو شجرة نخلة[2] واحدة.

وقد روى الإمام الزهرى مرفوعًا «لا تتخذوا الأموال بمكة واتخذوها فى دار هجرتكم فإن الرجل مع ماله» كما روى ابن عمر الحديث اللطيف «لا تتخذوا من وراء الرق حاملا ولا ترتدوا على أعقابكم بعد الهجرة ولا تنكحوا بناتكم طلقاء

(١) عند الترمذى بلفظ: «مَنْ استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها» وفى رواية الطبرانى: «فإنه من مات بها كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة».
وقال: حسن صحيح. انظر: إعلام الساجد ص ٢٤٨، مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.
(٢) راجع مجمع الزوائد ٣/٣٠١.

أهل مكة» وبهذا ينقلون أن النبى ﷺ حض على عدم امتلاك الأموال فى مكة بل فى المدينة لأن مال كل إنسان يكون بجانبه.

إن مدينة دار السكينة مثل[1] كير الحداد يفرق بين المخلصين من الموحدين وأهل النفاق وتفصل بينهما، كما أن الكير يفصل بين الحديد وخبثه وهكذا تفصل المدينة المنورة تمحص قذارة ووسخ أهل النفاق وتبعدهم عنها وتصفى وتبقى على أهل الإخلاص.

قال أحد الأعراب ـ وكان قد مرض بالمدينة ـ للرسول ﷺ يا رسول الله! أقلنى عن بيعتى[2].

فَأَبَى الرسول ﷺ وأعرض عنه، وغادر الأعرابى المدينة.

عندئذ قال خير البرايا ـ عليه أكمل التحايا ـ «وإن المدينة المنورة مثل كير الحداد يزيل الخبث ويصفى الطيب»[3] يفهم من هذا الحديث أن المدينة المنورة لا تقبل أهل الفساد والبدعة وتطردهم بعيدا، وما زالت هذه الخاصية فى المدينة الشهيرة ومشهورة بها.

وإن قال بعض الذوات أن الخاصية بالمدينة تنحصر فى عصر السعادة فبناء على حكم القول الشريف «لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها»[4] وبناء على ما قاله عمر بن عبد العزيز عندما كان يفارق المدينة المنورة «أخاف أن أكون من الذين تبعدهم المدينة وتطردهم» فخاصية المدينة المنورة ستستمر إلى ظهور الدجال، ولكن الأشخاص الذين ستطردهم المدينة هم الكفار الذين يتصفون بالخبث الكامل، أما العصاة الذين لم يصلوا إلى درجة الكفر ينقلون إلى أماكن مناسبة بواسطة الملائكة بعد ارتحالهم وموتهم، ويفهم من هذا أن أهل المدينة الذين لا

(١) يطلق الكير على موقد الحداد موقد المعادن.

(٢) الإقالة الادعاء بأن الإنسان قال شيئا وفى الحقيقة لم يقل شيئا كالافتراء.

(٣) الخبر فى الصحيحين: انظر صحيح مسلم ٣٢٩٦ فتح البارى ١٣/ ٢٠٠، ٢٠١ باب بيعة الأعراب، عمدة القارى ١٠ / ٢٤٥.

(٤) رواه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب الحج، باب المدينة تنفى شرارها، حديث ٣٢٩٣. ط دار الغد العربى.

يستحقون الشفاعة ينفون إلى أماكن أخرى لإزالة ومسح ذنوبهم أو أنهم يمحون ذنوبهم بزيادة أجورهم ومثوباتهم كما تفيد الآية الجليلة:

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾. (هود: ١١٤).

أو أنها تظهر خباثة وفساد من فى قلوبهم الفساد والخبث.

وقد ثبت بحكم الأحاديث الشريفة أن الذين يحدثون البدعة فى المدينة أو يعينون على ذلك سيلعنون من قبل الرحمن، وأن صلوات مثل هؤلاء الرجال المفروضة ونوافلهم لن تقبل منهم فالآثام الصغيرة التى ترتكب فى المدينة المنورة تعد من الكبائر بناء على الإفادة العاتبة لله ـ سبحانه وتعالى ـ إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يمحو الذين يسيئون إلى أهل المدينة المنورة كما يذيب الماء الملح يذيبهم فى جهنم مثل الملح والرصاص[1].

هناك اختلاف فى مدلولى لفظى المحو والإذابة إذ قال بعضهم إن الذين يتعرضون بالسوء إلى أهل المدينة المنورة سيؤاخذون على فعلتهم يوم القيامة، كما حكم بعضهم على أن هؤلاء سيؤاخذون على أعمالهم فى حياتهم، وإذا ما نظر إلى تلف المسلم الذى يناقض اسمه ـ أى مسلم بن عقبة[2] ـ والذى تجرأ فى ارتكاب حادثة الحرم الشهيرة، وكذلك إلى تلف يزيد[3] المفضوح الذى عينه للقيام بهذه المهمة الحزينة متعاقبين ترى صحة مؤدى القول الثانى وأصالته، وإذا ما نظر إلى تأخير مؤاخذة بعض الظالمين يرى أن القول معقول كذلك، ولاسيما إذا نظرنا إلى مصير طوائف القرامطة الباغية، ولكننا إذا ما نظرنا إلى مصير المغاربة الذين كانوا سببا فى إحاطة الشهيد نور الدين مرقد السعادة بجدار من الرصاص وإلى مصير المخذولين الأذلة الذين أساءوا إلى المدينة إذ تعرضوا ـ إن عاجلا أو آجلا ـ إلى أنواع المصائب والبلايا يقتضى ترجيح صحة القول الثانى.

وبما أنه قد ثبت أن الجبابرة الذين أساءوا إلى دار الهجرة المدينة المنورة قد نالوا جزاءهم من الآلام والعذاب حتى كانوا عبرة لأمثالهم ومثار الانتباه فلا شبهة أنهم

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى حديث ٣٢٩٩ ط. دار الغد العربى. وإعلام الساجد، ص ٢٥٧.

(٢) أهلكه الله منصرفه عن المدينة.

(٣) هلك يزيد بن معاوية أثر إغزائه أهل المدينة.

سيصيرون إلى الدرك الأسفل من النار ويذوبون مثل الرصاص. وقال الفرد الأكمل والأجمل ـ عليه سلام الله عز وجل ـ «يا إلهى!! استعجل فى هلاك كل واحد يسيئ إلى أو إلى المدينة المنورة بلدى وحرمى، وكل من يظلم أهل المدينة يخيفهم فأخفه»[1]، وبهذا يومئ بهذا الدعاء أن الذين يظلمون أهل المدينة أو يخيفونهم سيتعرضون للعنة الله ومذمة الناس ويستحقونها.

الاستطراد: كان بُسْر بن أبى أرطاه أحد أمراء الفتنة، فلما قدم المدينة كان بصر جابر بن عبد الله قد ذهب، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه؟ فخرج يمشى بين ابنيه فَنُكِّبَ. فقال: تعس مَنْ أخاف رسول الله ﷺ؛ فقال ابْنَاهُ أو أحدهما يا أبت وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى[2].

إفادة مخصوصة: كان بُسْر بن أبى أرطأة ذهب إلى مكة لإجراء التعليمات التى يحملها فى خلال السنة التاسعة والثلاثين الهجرية بعد المرور بالمدينة المنورة، وأقدم على هتك حرمة الحرمين الشريفين على سبيل الإهانة. وبعد أن أتلف بسيف الغدر كثيرين من أهل الحرمين الذين لا يوافقونه فيما يرتكب وأعدمهم ثم ذهب إلى ديار اليمن وهناك أيضا جعل رءوس مئات من المسلمين ذوى العقيدة الطاهرة والمساكين ضحية سيفه الغادر الظالم. وكان أبو أيوب الأنصارى والى المدينة قد ترك دار السكينة المدينة المنورة فى اليوم الذى دخل ابن أرطأة فيها.

جمع ابن أرطأة أهالى المدينة المنورة فى مكان واحد وقال مخاطبا لهم «قد هرب أبو أيوب من هنا حتى لا يبايع معاوية ابن أبى سفيان مع أنى سأقبض عليه بأى طريقة كانت فأقتله! يجب عليكم كلكم أن تضعوا رءوسكم فى ربقة بيعة معاوية وأن تطيعوه، يجب عليكم أن تبحثوا عن جابر بن عبد الله وأن تسوقوه إلى،! وقال يا أفراد بنى سليم. إذا لم تأتوا إلى بجابر لن أقبل بيعتكم وسأقتلكم كلكم بالسيف وسأظهر لكم سطوتى وجلادتى».

(١) انظر مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.

(٢) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح: انظر: مجمع الزوائد ٣/٣٠٦.

بناء على ما حققه ابن عبد البر فيما كتبه أن الخائن ابن أبى أرطأة قد بعث لدعوة الناس إلى مبايعة معاوية وفى حالة عدم مبايعتهم فإنه مأذون أن يستخدم معهم الشدة والغلظة، مع أن الذين رأوا ما أظهره حضرة جابر من شجاعة فى هذا الموضوع أعجبوا بها وقالوا لا يستطيع أن يقبل هذه البيعة وانسحب إلى حرة بنى سليم رافضين عرضه واتحد جابر مع أفراد بنى سليم ونجى من يد غدر ابن أرطأة وظلمه. ومع هذا لما فهم حضرة جابر أنه لن ينجو من يد بُسْر إذا لم يبايع معاوية وأن غرض بُسْر الحقيقى كان أن يقبض على جابر مهما بذل فى سبيل ذلك من تضحيات أو مال وفعلا بدأ فى التحريات فى هذا الخصوص. ولما اطلع جابر على ذلك لقى أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ من أمهات المؤمنين وقال لها إن البيعة التى يطلبها بُسْر بيعة ضالة باطلة، ولكننى إذا رفضتها فلا شك بأنه سيقتلنى فما رأيكم فى هذا الخصوص؟ فقالت له: «على رأيى يجب أن تذهب بنفسك وتبايعه حتى تمنع وقوع نار الفتنة! فقد بعثت بابنى عبد الله[1] بن أبى سلمة أيضا لذلك وإنه سيذهب للمبايعة». وبما أن أم سلمة رضى الله عنها أفتت بلزوم البيعة فبايع مضطرا وهكذا نجى بنفسه من يد ظلم ابن أرطأة.

وكان من عادة رسول الله ﷺ أن يوصى برعاية أهل المدينة ويحذر من إخافتهم وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة ومن ضمن ما قاله أمير الممالك والشفقة ـ عليه أطيب التحية ـ «المدينة دار هجرتى والمكان الذى رحلت إليه، فمن واجب أمتى اجتناب الكبائر ومراعاة جانب جيرانى، وكل من لا يحترمهم ولا يرعاهم يسقيهم الله يوم القيامة من عصارة أهل النار. والحديث إن المدينة مهجرى ومضجعى! إننى سأبعث من هناك فالذى يليق بأمتى رعاية جيرانى والمحافظة عليهم! وكل من يحافظ على وصيتى فإننى سأكون له شهيدا يوم القيامة، والذين يضيعون وصايای فالله سبحانه وتعالى يسقيهم يوم القيامة من

(١) عبد الله بن أبى سلمة هذا قد استشهد فى داخل الحرم النبوى من قبل مسلم بن عقبة فى وقعة الحرة إذ رفض أن يبايع يزيد.
والذى فى تاريخ الطبرى أنه عمر ابن أبى سلمة. تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٩.

حوض الخبال[1] ويرويهم».

والحديث «جعل الله سبحانه وتعالى المدينة دار هجرة لى! إننى سأبعث من المدينة وسأحشر منها، فيجب على أمتى اجتناب الكبائر والمحافظة على جيرانى وكل من يحترم أهل المدينة ويرعاهم فى سبيل حرمتى وتعظيمى أكون له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة. وكل من يضيع حرمتى فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يسقيه من حوض خبال».

وبناء على هذا حينما طلب المهدى العباسى من الإمام مالك أن يوصيه فقال له «أوصيك بالاعتراف بوحدانية الله وأن تبذل من لطفك وعطفك لأن الرسول ﷺ قال المدينة دار هجرتى، فى صحراء القيامة سأبعث من المدينة قبرى فى المدينة، وأهل المدينة جيرانى والواجب على أئمتى أن يتقيدوا بالمحافظة على أمتى! كل من يرعاهم ويحافظ عليهم يحافظون على حقوقى!

ومن يحافظ على حقوقى أكون شفيعا له فى يوم القيامة وشهيدا. والذين لا يحافظون على وصيتى يسقيهم الله من طينة الخبال يوم القيامة ويرويهم».

عندما زار الخليفة المهدى المدينة المنورة وذهب لزيارة الحجرة المعطرة، استقبله الإمام مالك وسادات البلد وأشرافه وجملة الأعيان وكبار موظفى الحكومة من عدة أميال من المدينة. وعندما رأى المهدى الإمام الجليل فاحتضنه وعانقه، ثم استدعى من معه واحداً تلو الآخر وصافحهم بحرارة. وعندما رأى الإمام مدى التفات الخليفة لأهل المدينة ورعايته لهم وقف ناصحا له وقال يا أمير المؤمنين «إنك ستدخل الآن إلى المدينة وسترى فى يمينك ويسارك بعض الناس، وبما أن جميع هؤلاء الذين سيراهم بصرك من أحفاد المهاجرين والأنصار ـ رضى الله عنهم ـ فيلزم عليك أن تحيى كل واحد منهم متفرداً وتسلم عليهم وتعرض عليهم

(١) الخبال: عصارة أهل النار من العصاة وهو صديد وعرق أهل النار والحديث رواه الطبرانى فى الكبير على ما ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٣١٠. وفيه عبد السلام بن أبى الجنوب، وهو متروك قلت: وعبد السلام قال على بن المدينى: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: متروك، وضعفه الدارقطنى وجرحه ابن حبان. انظر الضعفاء الكبير للعقيلى ٢/ ١٥٠.

احترامك لهم، لأنه لا توجد على وجه الأرض عشيرة خير وأفضل منهم. كما لا توجد بلدة أفضل من بلادهم «وقد رد الإمام على سؤال المهدى الذى قال له» وما هو دليلك الذى تستند عليه فى هذا القول «وليس على وجه الأرض قبر معلوم لنبى من الأنبياء غير قبر الرسول ـ عليه السلام ـ وإن هذه الطائفة التى استوطنت على أطراف المرقد النبوى ففضلهم ورجحانهم على سكنة البلاد الأخرى ظاهران.

وإذا ما نظرت إلى نصائح الإمام مالك للخليفة المهدى وأمعنت النظر فيما قاله محبوب الأنبياء ـ عليه أعظم التحية: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] يفهم بداهة أفضلية مجاورة قبر الرسول ـ ﷺ ـ اللامع. ورأيت ما للمدينة المنورة من الفضل والمزية، وأمكنك ترجيح سكنتها على سكنة مكة المكرمة التى تمتاز بتضاعف الأجر والمثوبة لسكانها.

وبناء على وصية الإمام مالك قد راعى الخليفة جانب سكان دار السكينة ولاطفهم وسرهم ببذل عطايا كثيرة لهم.

فلتسر روح المرحوم دده عاشق الرب فما أجمل منظومته هذه ذات المعانى الكثيرة فى مدح المدينة المنورة:

المدينة هى مدينة المصطفى الطاهرة

إنها محل نظر الله المتكبر

المدينة هى منزل القرآن والوحى

وهى أيضا مهبط رسول الله

المدينة هى مضجع المختار أحمد

وهى مطاف الإنس والجن وأهل السماء

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٨٥، ١٦٠ ومواضع كثيرة. وغيره من كتب السنن.

فـــى حديثـــه قـــال فخـــر العـالم

كـــان ترابـــك شـــــفاء للعليـــل

المدينـــة هـــى منبـــع الفيـض والإحســـان

وهـــى راويـــة المحتـاج لمراجعـة الحقيقـة

المدينـــة هـــى فاتحـــة بلـــدان الإســـلام

خصـــوصا فـاتحـــة أم القـــرى

وهـى مـكان الغفـران لقضـاة المـؤمنين

مدينـــة محـــو العصـــيان والخـــطأ

وهـــى حديقـــة الـــورد وهـــى فريـــدة

وهـى كشـف الغطـاء عـن شهود المعرفة

تـرى هـل نفـس عيسـى تـرابها الطـــاهر

فهـــى تعطـــى الـــروح للقـلب الميـــت

أنت سريـد بيضـــاء لموســـى طـــاهرة

أنـت مليئـــة بالنـــور للقـلب المظـــلم

المدينـــة مرقـــد خيـــر البشـــر

وشـــفيع المـــؤمنين يـــوم الجـــزاء

أنـــت سريـــر ســـلطنة النبـــوة

المدينـــة هـــى العـــرش المجتلـــى

إنـــه الحـــريم المحـــرم لـــولاك لـــولاك

فـالمدينـــة مجتلـــى ســـر الأم

المدينـــة دار الأنصـــار والمهاجريـــن

هـــذا مـكان الـدين والإيمـان والحيـــاة

المدينـــة هـــى ناشـــرة الرحمـة للعـالم

وخيـــرها دائـــم خاصـــة لأهلهـــا

فـالـــذى يـــراها مـــرة يتحســـر قائـلا

ليتنى أراهـا مـرة أخـرى فلقاؤها محبوب

هكذا انظر كم من مشكلات يحلها ذلك السلطان فمن الصعب أن يحلها العالم فى الحقيقة وإن كان لا ينكر ما خص به أهل مكة من مزايا مثل تضاعف الأجر والثواب فيها ومجاورة بيت الله الوهاب إلا أن أهل المدينة يرجحون ويفضلون على أهل مكة بسبب مجاورتهم وقربهم من حبيب رب العزة والطبيب المداوى قلوب أمته، وتؤيد الحكم السابقة ما قاله أحمد بن حنبل لما سأل أبو بكر بن حماد «يا أبا عبد الله! ما هو أولى والأحب بالنسبة لك المجاورة فى مكة المكرمة أم السكنى فى المدينة المنورة؟» قال له «المجاورة أولى وأحب بالنسبة للذين يختارون السكنى بالمدينة صابرين على مصائبها وبلاياها».

والقول المختار فى هذا الموضوع أن اختيار المجاورة فى أى من البلدين مستحب لحبه ذلك البلد ولما يوجبه من مزية زيادة الأجر والثواب، إلا أن الذين ذهبوا إلى أولوية المجاورة فى المدينة على مكة المكرمة كرهوا مجاورة مكة المعظمة[1] رغبو فى الإقامة فى المدينة الأمينة وأحبوها.

(١) إنما كرهها من كرهها لأمور، منها: خوف الملل، وقلة الحرمة للانس وخوف ملابسة الذنوب، فإن الذنب فيها اقبح منه فى غيرها.

انظر: شرح النووى على مسلم باب الترغيب فى سكنى المدينة كتاب الحج ٤/ ٩٢٠ ط. دار الغد العربى.